المهاجرة

لقد مكثت في بلاد الغرب نحو عشرة اشهر صرفت معظمها في الولايات المتحدة الاميركية واجتزت تلك البلاد من الشرق الى الغرب وزرت اعظم ولاياتها ومدنها وتعارفت عن كثب حالة السوري المهاجر فيها ، ومع ان الوقت الذي صرفته هنالك لا احسبه كافياً لاعطاء رأي حاسم في المهاجرة ، فها انا انقل لابناء بلادي باخلاص تام رأياً اعتقده صواباً غير مدع العصمة فيه او التفوق فيما انقله وابديه .

يرجع عهد المهاجرة الاول الى منتصف القرن الماضي على وجه التقريب وهو زمن الطلائع ولكن المهاجرة كانت على أشدها في الربع الاخير منه وفي اوائل هذا القرن حتى وقوع الحرب الكبرى ثم بعد انتهائها وليس هنالك احصاء دقيق لعدد المهاجرين من بلادنا يمكننا الرجوع اليه انما يعتقد العارفون ان هنالك على اقل تقدير ما يقارب نصف المليون من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين المهاجرين الى الاميركتين وجزر البحر واوقيانوسيا وغربي افريقية وجنوبيها وشماليها واكثرهم من خيار الشبان الاقوياء . ففي بعض مدن الغرب الكبرى كنيو يورك وبوسطن وديترويت من اعمال الولايات المتحدة الاميركية وساوبولو ور يودي جنيرو من اعمال البرازيل وبونس ايرس من اعمال الارجنتين وغير هذه جاليات سورية تملأ مدناً صغرى برمتها عندنا كطرابلس وصور وصيدا . ففي نيو يورك نحو اثنين وثلاثين الفاً وفي بوسطن نحو سبعة عشر الفاً وفي ديترويت نحو العشرين الفاً ويزيد العدد كثيراً في ساوبولو ور يوده جنيرو وبونس ايرس على هذا التقدير . وهنالك مدن كثيرة لا يقل عدد نفوس الجاليات السورية في كل منها عن اربعة او خمسة آلاف والسوريون قد تغلغلوا في بلاد المهجر حتى في اصغر القرى واحقر الدساكر يعمرون بلاد الاجانب وبلادهم تكاد تقفر من ساكنيها التي يقال انها كانت الى ثلاثة آلاف سنة خلت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نعد نحو الثلاثين مليوناً من النفوس . ولو حسبنا معدل نفقة المهاجر الواحد من بلادنا لايصاله الى ديار المهجر ثلاثين ليرة عثمانية ذهباً وانه يحتاج الى انفاق مثلها ليتمكن من العودة الى هذه البلاد لبلغ مجموع إنفاق المهاجرين في هذا السبيل ثلاثين مليون ليرة عثمانية ذهباً وذلك على أقل تقدير . وهل تملك بلادنا اليوم هذه القيمة من الذهب نقداً ؟؟؟ او لا تحييها من العدم وتنهض بها نهضة عظمى ثروة هذا مقدارها ؟؟؟

وما انا بمبالغ ان قلت لكم ان ثروة جميع المهاجرين السوريين في الولايات المتحدة وكندا الذين قد لا يربو عددهم كثيراً على المئة والخمسين الفاً من النفوس لا تتجاوز هذا المقدار المذكور عند التصفية لا بل قد تنقص عنه كثيراً . والسبب الاهم في ذلك هو أن السوري المهاجر يعاني أشد المنافسة في تلك البلاد التي تفوق غيرها من بلاد المهجر مدنية وعلماً ومباراة واسرافاً . ولعل إخواننا السوريين القاطنين في مصر القطر العربي الشقيق هم أوفر حظاً وأهنأ عيشاً وانعم بالاً واكثر عزاً واوسع جاهاً من جميع السوريين المهاجرين في جميع انحاء المعمور .

(اسباب المهاجرة) — ولعل في عداد الأسباب التي كانت تبعث على الهجرة ظلم الحكومة التركية البائدة وارهاقها العنصر العربي في المملكة وعدم تسهيل أسباب العمل والنجاح له او لازدياد الإسراف في بلادنا بعد احتكاكنا بالغرب الذي فتح سوقاً رائجة لمصنوعاته عندنا وبدأ القوم تدريجاً يقلدون الغربيين في إنفاقهم برغم ان مداخيل البلاد بقيت شرقية صرفة فلم يك اذ ذاك بدٌّ من ايجاد ما يسد النقص في الايراد ليعادل الانفاق وقد جاء ذلك عن طريق المهاجرة التي كانت لبلادنا شبه تجارة الرقيق تعطي رجالاً لتأخذ مالاً . اوما كان يروج بين البسطاء من ان اميركا هي بلاد الذهب والثروة ويؤيد ذلك احياناً عودة احد المهاجرين الناجحين الذي كان يتخذه القوم عندنا مثالاً يقتدون به وينسجون على منواله — واذا ما سئلت اليوم هل تعتقد بافضلية المهاجرة وفائدتها لهذه البلاد او للمهاجرين انفسهم لما تردد لحظة عن الجواب بمنتهى الصراحة — كلاً .

كلاً لا أعتقد مطلقاً بافضلية المهاجرة لا لبلادنا ولا لمهاجريها وليس معنى ذلك انني لا أجد في المهاجرة حسنات ولا في حالة البلاد التي تدفع بنيها الى هجرتها سيئات ولكنني اجمع حسنات المهاجرة الى سيئات البقاء في الوطن وأقابل مجموعها بسيئات المهاجرة وحسنات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاقامة فأفضل البقاء على الهجرة و كفة ميزانه عندي ترجح كثيراً على تلك وخصوصاً في هذه الايام ·

أليس مما يدمي الفؤاد ويقرح الجفون ان نشاهد القوم عندنا مقبلين على المهاجرة حتى في حالة منع الحكومات الاميركية لها وتضييق حلقتهـا دونهم باعتبارهم مادة شرقية لا تصلح للتصدير الى الغرب ولا تأخذنا على الأقل انفة العرب الكرام التي ندّعيها في كثير من المواقف منذ نسمع القوم يصرحون لنا انهم لا يريدوننا عندهم ولكننا نقبل عليهم اي إقبال وها هي دور قناصل الحكومات الاميركية ملأى بالوف طالبي الهجرة لا يصدهم عنها ابصاد الأبواب دونهم او ردع القوانين ·

يؤلمني جداً فوق ذلك ان أشاهد حالة السور بين المهاجرين خصوصاً في هذه الايام وشدة جهادهم في بلاد لا تعرف غير الجهاد وكم يقاسون من عرق القربة في تحصيل الثروة التي لا يحرزها غير القليلين منهم و يبقى نصيب الاكثرية الساحقة الخيبة وكم منهم من لا يحصل قوت اليوم فيبقى عالة على المحسنين او رهن الذل والمسكنة والامراض · يؤلمني ان أعرف ذلك والا يجهله الكثيرون من طلاّب الهجرة ويحسبون القوم هنالك جميعهم يحفرون على الذهب و يتاجرون بالجواهر والماس و يعيشون عيش الاسراف والترف · و يسوءني ايضاً كيف ان بعض قديمي العهد بالهجرة قاسوا الامرّين في نومهم وقوتهم والبستهم وجميع احوال معيشتهم وشدة جهادهم قبل ان اقتصدوا بعض دريهمات جعلوها رأسمالهم الاول وقبل ان حق لهم ان يكونوا في عداد التجار الحقيقيين ومع ذلك ما من احد منهم اليوم الا وهو تحت رحمة الأقدار وثروته غير مضمونة البقاء ·

ولعل الخطأ الاكبر والباعث الاول نحو عقلية بلادنا بشأن المهاجرة وانها السبيل الوحيد الى الثراء حاصل من حنان بعض اخواننا المهاجرين لذوي قرباهم في هذه البلاد فهم احياناً كثيرة يقطعون القوت الضروري عن نفوسهم او قد يستدينون ليقدموا لذويهم مبلغاً صغيراً من المال هو عندهم عنوان النجـاح وتحقيق الآمال وكثيرون منهم يخفون هذه الحقيقة الراهنة عن اهليهم استبقاءً لاطمئنان نفوسهم او خوف الفضيحة وهزء الشامتين ·

ويخيفني جداً ان تكون هذه هي حالة الكثيرين من ابناء بلادنا في المهجر وان الاكثرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة .www.alukah.net

الساحقة منهم لا تملك شيئاً سوى الكفاف وانهـا تشتغل بالبدل اليومي وتقاسي العذاب الشديد في جهاد الحياة بين قوم تختلف مدنيتهم عن مدنيتنا وعاداتهم عن عاداتنا ومعيشتهم عن معيشتنا ولغتهم عن لغتنا و يكفي ان نقول ان السوريين اللبنانيين هم هنالك في بلاد غربة يذهبون اليها صفر اليدين وليس لديهم عضد او عون سوى الصحة والآمال و كثيراً مايضيع بالجهل كلاهما ويحترق في أتون جهاد تلك البلاد الحامية وتجار بها الخلابة وامراضها المختلفة المميتة .

لاعبرة بنجاح افراد قليلين من السوريين في بلاد الغرب وهؤلاء العصاميون لا شك في نجاحهم على تلك النسبة حتى في هذه البلاد بشرط ان يجاهدوا هنا كما يجاهدون هنالك فالسر في شخصية الافراد لا في الهجرة عينها وذوو الشخصيات البارزة ناجحون في كل بلاد وزمان . او لم يكن السوري يوماً زعيم المدنية في العالم ورسول الاديان والاشتراع ومؤسس العلوم والصناعات ؟؟ بلى . وهاهو اليوم ولم يعد سباقاً في الميدان . شاهده في بلاد الهجرة فاذا به يذكر اسمه واسم بلاده غير مقرون بالاحترام التام إن عدلاً وان ظلما فليس للسوري عموماً ذاك المقام الذي تريده نحن له بينما الامم والشعوب التي تحسب نفسها سبقته كثيراً في مضمار العلم والمدنية والارتقاء والعمران . وهذه حقيقة مع انهـا مؤلمة جارحة تستحق الذكر والتصريح . وماهي الاسباب الباعثة على هذا الحال ؟ اترك للقارئ اللبيب ان يجيب على هذا السؤال ويجلو معماه وأبقي لنفسي حرية عدم الاسهاب والتطويل .

بلادنا افضل بلاد الله لنا بقطع النظر عن ذكر حقوقها علينا وواجباتنـا نحوها فهي تصلح لنـا ونصلح نحن لها اكثر مما لسواها وهي واسعة جداً ولا خوف عليها من ان تزدحم او تضيق بنا ، هي ارحب صدراً وارحم قلباً وارق عاطفةً وأرأف بنا ، هواؤها وماؤها وشمسها وقمرها ونجومها ، ارضها وسماؤها ، فصولها ، نبتهـا وغرسها ، درها وفاكهتهـا ، كل ما فيها حبيب الينا وحبيب جداً . الا فلنشفق على نفوسنا وهذا الوطن ولنتعهده قبل ان نتعهد سواه بسواعدنا وقلوبنا وارواحنا ولنجتهد ان نجعل الصادر في تجارتنا من انتاج ارضنا وايدينا لا من انتاج ارواحنا وقلوبنا حتى اذا ما نقص هذا الانتاج نهلك وتهلك معنا البلاد .

لقد جبت كثيراً من الآفاق وتجولت في كثير من بلاد الناس واشهد عن يقين واختبار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انني لم أشاهد بلاداً أجمل من سورية ولبنان . اطللت من عُرض البحار على موانٍ كثيرة في مختلف البلدان وشاهدت مناظر تأخذ العقول وتسبي الخواطر والالباب ولكن ماسحرت بمنظر احدها كما سحرت عندما اطللت من عرض البحر على بيروت ولبنان ولم أشاهد منظراً أروع من ذلك المنظر البديع الفتان . . . . . أطل من قمم لبنان ان كنت من غواة التصعيد في الجبال . أطل من اعالي الكنيسة او صنين او ظهر القضيب او من حرمون وشاهد تحت سماء صافية وجو أزرق بديع الجبال والاودية والوهاد ، السهول والبطاح والانجاد ، المروج والجداول والبحيرات . وحدق بناظريك الى أبعد مرمى البصر الى فلسطين والشرق العربي — الى حوران وجبل الدروز — الى طرابلس وعكار — الى ساحل البحر وعرض البحر — الى بيروت وصيدا وصور — الى سهول البقاع وبعلبك وحمص وحماة وحلب — الى لبنان الغربي والشرقي — الى دمشق والغوطة الخضراء . بلاد هي اجمل البلدان ، ومهبط الوحي ومنبت الشرائع والاديان ، هي موطن المردة ، وعرين الآساد . ومرتع الغزلان .

وان كنت أفل طموحاً في التصعيد فأطل ولو من ظهر البيدر على بقاع المزيز — على المروج السندسية الخضراء الملتفة بالألوان المختلفة البديعة مقطعة تقطيعاً هندسياً جميلاً يخالها المشاهد قطعاً من الطنافس الثمينة منبسطة فوق تلك البطاح ، اواطل من ميسلون ، او اطل من قاسيون وشاهد شروق الغزلة وغروبها ، او انتبه وكن يقظاً عند مدخل دمشق الزمردة الخضراء على كتف الصحراء . مشاهد كلها تملأ القلب روعة وجمالاً وتبعث في النفس عزة وجلالاً ، وتهبط بالوحي على العقول المولدة المجددة الماكنة تلك الصور البديعة الخالدة شعراً وخيالاً في الخواطر ، ووحياً والهاماً في القلوب ، واطماعاً وهمماً في النفوس ، وانغاماً شجية في الاسماع ، وآمالاً ورؤى واحلاماً ذهبية على لوحة المستقبل وصفحات الأقدار .

بلاد يأتيها السائح من بلاد الغرب فيؤخذ بجمالها الطبيعي و يندهش لآثارها التاريخية ويتخشع في أماكنها المقدسة و يعود غنياً بتأثير ذكرياتها الخالدة .

لم أشاهد شمساً ساطعة مشرقة كشمس هذه البلاد وسماء صافية كسمائها وليالي قمراء زهراء كلياليها وفصولاً سنوية كفصولها . فربيع بلادنا ربيع تام وصيفها صيف تام وهكذا قل عن خريفها وشتائها . وفيها مايوافق جميع الامزجة لجميع الفصول : فمن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مشتى بيروت وساحل البحر المعتدل الى مصايف لبنان الجميلة وبعضها يعلو اكثر من اربعة آلاف قدم عن سطح البحر ولا يقتضي الانتقال من هذه الى تلك سوى مسير اقل من ساعة واحدة بالسيارة الحديثة ، وهنالك مشتى طبرية حيث الهبوط اكثر من ثلاثمائة قدم عن سطح البحر — الى مشتى اريحا حيث الهبوط اكثر من الف قدم عنه وحيث الشتاء ربيع دائم . وهل يوجد في الدنيا ربيع اجمل من ربيع دمشق ؟ ؟ ؟ لم أنشق نسيماً عطراً عليلاً كنسيم هذه البلاد ولم أرشف ماءً زلالاً عذباً كمياهها ولم أتذوق طعاماً شهياً كطعامها .

لقد سألني الدمشقيون في المهجر عن المشمش الحموي والعنب الزيبني وتفاح الزبداني واللبنانيون عن عنب زحلة وبحمدون وعن تين الجبل وصنوبره والحلبيون عن فستق حلب والفلسطينيون عن برتقال يافا . ولعمري ليس لهذه البلاد في جميع مميزاتها من مثيل في جميع الاقطار والامصار . أفمن اجل هذه المميزات تستحق هجرة بنيها والبعاد والنسيان .

نرسل الى بلاد الغرب شباناً في ريعان القوة وعنفوان الصبا ونأخذ عوض ذلك بعض الدريهمات فبئست التجارة الخاسرة هنا وهناك وبئس المصير أتباع الأرواح بالمال وهل تشرى النفوس بالدنانير ؟

ارسلوا هؤلاء الفتية من طالبي الهجرة في حقول البلاد يغرسون اشجارها ويزرعون حبوبها وزعوهم في مصانعها يحيكون الاصواف والحرير ، أوجدوا لهم عملاً فيعملون او أوجدوهم عندنا فهم يوجدون الاعمال ويجيون الآمال .

علموهم أن سعادة الحياة ليست في ثراء الغرب ولا هي في خزن الاموال ولا في اقتناء السيارات بل هي في الصحة والعلم والعمل ، وان العمل شريف جداً زراعة كان ام صناعة او في اي مهنة حرة تحتاج اليها البلاد .

لاتبعدوا الوالد عن عائلته ولا الفتى عن ذويه ولا تقضوا على سعادة الشرق بتفكك عرى بنيه فما الفوائد بمعادلة مانبذلون وما النتيجة عندما تؤملون .

أفبقي ايتها الحكومة مع الشعب وعالجي هذا الداء داء المهاجرة القتال وحاربيه لا بقوة المنع والشرائع فقط بل تخطي الى الوجهة الايجابية وسهلي على القوم العمل فتبقين على فلذات الاكباد في الوطن لا بل تحببين العودة الى كثيرين من ابنائك في ديار الهجرة ممن بقي في نفوسهم حنين اليك ولكنهم يخافون الفشل وعدم ايجاد اسباب النجاح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بلادنا زراعية في الدرجة الاولى فأين وسائل الري ؟ اين تسهيلات المزارعين والفلاحين ؟ عندنا صناعات وطنية اين تنشيطها التنشيط المثمر وحمايتها ؟ هنالك ما نستورده من بلاد الغرب ويمكن صنعه في بلادنا فأين ماعملناه في هذا السبيل ؟؟ .

ليذهب المهاجر منا في سبيل نقل العلم والصناعة والفنون اللازمة لنا ليذهب وليعد فاذا هو قوة جديدة في البلاد . وليهاجر فقط من يتعاطى ترويج صناعات بلادنا وبتولى اصدارها لبلاد الغرب ولنحترز ان لايكون في عداد هؤلاء من يسيء سمعة البلاد وليذهب منا من يشاهد عن كثب تفوق الغربيين فيعود مهازاً لنا في طلب الترقي مثلهم . ولنجتهد ان نعيد الاحترام السابق لنا بين الامم والشعوب فيكون هذا الاحترام رأسمال المسافر منا في سبيل شريف وليس للفرد والامة من مرمى أبعد وأسمى من احراز الرفعة والاحترام .

السوريون في الولايات المتحدة الاميركية قد تجنست اكثريتهم الساحقة بجنسية تلك البلاد والفقير منهم لايطمع بالعودة صفر اليدين والقليلون من ذوي الثروة لايرغبون في ترك مجال النجاح والتفوق هنالك والمركز الذي أحرزوه بشق الانفس والتعب الشديد وجهاد السنين الطوال . وبعد زمن غير بعيد ستصبح الجالية هنالك من قلب الاميركيين فيقضي العجز والشيوخ فيها ومن كانت لهم صلة بهذه البلاد والنشء الجديد منها اكثره لايقرأ اللغة العربية ولايكتبها ولاهو باحتياج اليها فقد ولد في تلك البلاد ونشأ فيها واحبها وهو لايعرف شيئاً مذكوراً عن هذه البلاد . ومن الجهل ان نطمع بقدومه اليها او باستمراره على مساعدة ذويه عندنا .

اذاً ستكون الصفقة خاسرة لنا فهل نطمع ان نزيدها خساراً بان نستمر على الهجرة وان ننكب البلاد بضياع بنيها وفلذات اكبادها عاماً بعد عام .

بلاد الغرب تئن اليوم من العطلة وعدم توفر العمل للملايين العديدة من الشبان وفي الولايات المتحدة الاميركية ما لايقل عن ستة الملايين منهم بطالين لايجدون سبيلاً للعمل والارتزاق والضائقة مستحكمة في تلك البلاد بصفة لم نعهد لها مثيلاً فيما مضى . وقد لانشعر نحن بشدة هذه الضائقة العالمية لاننا نسير على مهل فتأتي صدمتها خفيفة عندنا لكنها قوية جداً عندهم لانهم يسيرون بسرعة هائلة . ويا لبلية الاصطدام عند المسرعين ولعل نسبة سرعتنا في أعمالنا لسرعتهم هم كنسبة سرعة قطار بيروت — دمشق وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مصمّم في طريقه بين محطتي عاريا وعاليه الى سرعة سيارة من الطراز الحديث تقطع سهل البقاع في طريق دمشق — بيروت المعبدة تعبيداً فنياً حديثاً لا بل قد يسيرون هم بالنسبة الينا على أسرع من هذا القياس بشيء كثير .

الحياة عندنا فيها شيء من التعاون العائلي وحفظ حقوق الجوار المقدسة وقد ينتقل الى جانبك جار جديد فيحل له اقتراض بضعة أرغفة من الخبز لقوت عياله ولا يجد هو أوانت في ذلك نكراً أو فضيحة وقد تستعير امرأته بعض الادوات البيتية اللازمة لها فلا تفشل في طلب الاعارة . اما في بلاد الغرب فما للجار من حق على جاره حتى ولا للأخ على اخيه فهم من هذه الجهة يعيشون حياة فردية استقلالية جافة مجردة من هذه الحسنة التي لنا نحن في هذه البلاد وفيها مافيها من معنى الانسانية الصحيح والتآخي البشري الحقيقي الناضج .

يمرض الانسان في بلادنا وقد يشفى في اكثر الأحيان او يطول اجله لا من عقاقير الطب وذكاء الاطباء بل من محبة الاهلين وعيادة الاصدقاء وسيال الحنان الصادق ينبعث في عيون زائريه وذويه ويمرض هنالك في بلاد الغربة وقد يقضي عليه لمجرد فقد هذه المزايا لديه هناك .

السعادة التي ننشدها يجيء اكثرها من خزان الدماغ الباطن في الانسان واجمل ما في هذا الخزان تذكارات زمن الصبا وصوره الحلوة واحلامه الجميلة ولهوه البديع وهذه جميعها تأتي مرتبطة بمشاهد الارض التي يمرح عليها الوليد ، وصفاء السماء التي يشاهدها فيما نسميه نحن الوطن ، وفيه البيت الذي نأوي اليه والاهل والاحباء والرفاق والمواطنون . لذا يشعر المهاجر بالغبطة عند عودته ولو الى مزرعة صغيرة تركها منذ زمن طويل ويحن اليها الحنين الكثير لانها توقظ فيه تلك التذكارات الجميلة تذكارات الصبا التي تبعث المرح في القلب والايمان في العيون وترجع الكهل شاباً اوفى بروحه بعد ان نهكته الايام ولوعته المحن والمشقات وشدة الجهاد . ولولا هذا الارتباط والحنين وتلك التذكارات الجميلة الناعمة لأقفرت دساكر كثيرة لا تجلو سوى لساكنيها فقط ولنعق فوقها البوم واضحت أطلالاً دارسة .

الا يفرح طائر السنونو المهاجر بعودته الى العش الذي بناه في عامه الاول ولا ينفك ملازماً له عاماً بعد عام ؟ أليس هو مقدساً لديه اكثر من كل بقعة أخرى تحت السماء ؟ بلى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مررت في عودتي الى بلادي على ميناء «نابولي» من اعمال ايطاليا وقد كان على ظهر الباخرة عدد من السوريين العائدين الى الوطن وعند رسو الباخرة «بروفيدانس» في ميناءها سمح لجميع المسافرين بالنزول الى المدينة دون ادنى معارضة او تضييق ولكن حظر ذلك على السوريين فقط ما لم يسلموا جوازات السفر للبوليس الايطالي الواقف على سلم الباخرة فقلت في نفسي ولمَ عدم المساواة في وقت كهذا ام ان الحكومة الفاشيستية تريد ان تعتز بشيء ولو على الضعفاء مع انهم لم يفعلوا هكذا عند مرورنا بتلك المدينة ونحن مسافرون على ظهر الباخرة «موريتانيا» ولعلّ ذلك لاحترامهم الشركة التابعة لها هذه الباخرة اكثر من احترامهم شركة «فابرلاين» التابعة لها الباخرة الاولى، او لعل ذلك لاظهار مبلغ الاحترام الذي يتمتع به السوري المهاجر في بلاد الغرب. ان في الأسفار دروساً قيمة يتعلمها المرء في هذه البلاد وهي بحاجة شديدة اليها ألا وهي دروس القومية والاتحاد والتعاضد. فلا قوة في بلاد اجنبية بغير هذه المبارزة القويمة وليس ما نشاهده من التعصبات المذهبية عندنا سوى مظهر من مظاهر الجهل الفادح والشقاق وما تفور الأقلية في البلاد من اكثر بتهما او سلوكها مسلكاً مخالفاً لها سوى دليل الذل والصغار وما ادعاء الاكثرية وتعاظمها على الأقلية سوى كبرياء فارغة لا وجود لها في قاموس ارتقاء الامم البالغة سنّ الرشد والادراك، لا تبنى القوميات على الأديان، وان فيما تبنيه تركيا الحديثة اليوم من عزٍّ ورقيٍّ وفلاح، ونجاحها في هذا البناء لدليلاً بيناً على صدق ما اقول فهي لا تقف بين غيرها من الدول باسم الدين بل باسم الانسانية المطلقة وباسم العنصر التركي الذي يحق له الحياة كبقية العناصر البشرية في العالم. وعند تعريجي على استانبول قدرت ان احترم المجهودات التي تبذلها الحكومة التركية في هذا السبيل القويم الشريف.

بلادنا واحدة ومصالحنا فيها مشتركة. والمهاجرة هي بلاؤنا الاكبر وداؤنا القتال فلنقلع عنها الا في أحوالها المفيدة فقط وحيث لا نضطر الى تغيير جنسية المهاجر منا فيبقى امينا على حقوق قومه وبلاده.

عرفت رجلاً انكليزياً كان في هذه البلاد ايام الحرب الكبرى وعندما أبعد جمال السفّاح الاجانب الى داخلية بلاد الاناضول وضيّق عليهم جداً واستولى على ممتلكاتهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عرض على هذا الرجل ان يجنس بالجنسية العثمانية وهو يعيد اليه حريته وجميع حقوقه وممتلكاته ويمكنه من السكنى في بيته ولكنه ابى ذلك بانفة عظمى وقال يهون عليَّ كل شيء حتى تجرع غصص النفي والجوع والامراض والموت ولن أغير جنسية دولتي وبلادي. وان كان في عمل هذا الرجل الشهم ما يدعو الى الإعجاب والاحترام فان لسوريّ يعمل عمله في احوال كهذه فضلاً اكبر، إعجاباً في نفوسنا أشد بالنسبة للون التاسع في المكانة بين الدولتين. فأين هي مكانة السوري المهاجر من هذا القبيل حيث لا ضغط ولا تهديد حتى ولا ترغيب ولا وعيد وكم هم الذين حافظوا على جنسيتهم السورية في بلاد المهجر. وقد شاهدت في استانبول انهم لم يأذنوا لركاب السفينة السوريين المتجنسين بالجنسية الاميركية بالنزول الى البر بينما هم سمحوا بذلك لسواهم لعدم احترامهم او اعترافهم بتبدل الجنسية هذه.

ولو ان المهاجرة بقيت عند غايتها السابقة قبل الحرب الكبرى اي طمعاً بالارتزاق فقط ولا يقطع المهاجر صلته ببلاده ولا يغير جنسيته ثم يعود بعد حصوله على ما يتمناه الى وطنه وبلاده — لما وجدت فيها الغبن العظيم الذي أجده هذه الايام، وهنالك من يهاجر اليوم الى بلادنا قصد السكنى والارتزاق وعندنا من يرحل عن بلاده وهو بها اولى وهي به أرحب وحنانها عليه أشد. فلنتدبر هذا الامر بالحكمة وبعد النظر قبل ان يعم البلاء ويستعصي الداء وهو ذو شأن اي شأن لنا ولبلادنا التي نحلم لها بمستقبل زاهر ونؤمن بوصولها يوماً الى ما تتوخاه لها من سعادة وحرية وفلاح[1].

سليمان سعد
رئيس مدرسة الجامعة العلمية في دمشق

(١) ألقيت هذه المحاضرة في ردهة المجمع العلمي العربي بتاريخ ١٩ آذار سنة ١٩٣١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net